إلى مشايخ العرب وصلحائهم

السلام عليكم، أيّها الأتقياءُ الأصفياء، من العَرب العُرَباء. السلام عليكم، يا أهلَ أرض النبوّة وجيرانَ بيتِ الله العظمى. أنتم خير أُمم الإسلام وخير حزب الله الأعلى. ما كان لقومٍ أن يبلغ شأنكم. قد زِدتم شرفًا ومجدًا ومَنْزلا. وكافيكم من فخرٍ أن الله افتتح وحيه من آدم وختم على نبي كان منكم ومن أرضكم وَطنًا ومأوًى ومولدا. وما أدراكم مَنْ ذلك النبي! محمد المصطفى، سيّد الأصفياء وفخر الأنبياء، وخاتَم الرّسل وإمام الورى. قد ثبت إحسانه على كُلِّ من دَبّ على رِجْلين ومشى. وقد أدرك وحيُه كُلَّ فائت من رموزٍ ومعانٍ ونكات عُلَى. وأحيا دينُه كلّ ما كان ميّتًا مِن معارفَ الحَقّ وسننِ الهدى. اللّهم فصَلِّ وسلّم وبارِكْ عليه بعدد كل ما في الأرض من القطرات والذرات والأحياء والأموات، وبعددِ كلّ ما في السماوات، وبعدد كل ما ظهر واختفى، وبلِّغْه منا سلامًا يملأ أرجاء السماء. طوبى لقومٍ يحمل نِيْرَ محمدٍ ﷺ على رَقبته، وطوبى لقلب أفضى إليه وخالطه وفي حُبّه فنى.

يـــا سُـــكّانَ أرض أَوطأته قدمُ المصطفى.. رحمكم الله ورضي عنكم وأرضى.. إن ظني فيكم جليل، وفي روحي للقائكم غليل، يـــا عـــباد الله. وإني أحِنّ إلى عِيان بلادِكم، وبركاتِ سوادكم، لأزور موطـــئ أقدام خيرِ الورى، وأجعلَ كُحْلَ عيني تلك الثرى، ولأزور صلاحها وصلحاءها، ومعالمها وعلماءها، وتقرّ عيني برؤية أولـــيائها، ومشـــاهدها الكُبرى. فأسأل الله تعالى أن يرزقني رؤية ثراكم، ويسّرني بمرآكم، بعنايته العظمى.

يا إخوان.. إني أحبّكم، وأُحبّ بلادكم، وأحب رمل طرقكم وأحجار سككككم، وأوثركم على كل ما في الدنيا.

يـــا أكـــباد العرب.. قد خصّكم الله ببركاتٍ أثـــيرة، ومزايا كـــثيرةٍ، ومـــراحمه الكُـــبرى. فيكم بيت الله التيّ بورك بـــها أُمّ القُـــرى، وفيكم روضة النبي المبارك الذي أشاع التوحيد في أقطار العـــالم وأظهـــر جـــلال الله وجلَّى. وكان منكم قوم نصروا الله ورسوله بكل القلب، وبكُلّ الروح، وبكُلّ النُهى. وبذلوا أموالهم وأنفســـهم لإشـــاعة دين الله وكتابه الأزكى. فأنتم المخصوصون بتلك الفضائل، ومن لم يكرمكم فقد جار واعتدى.

يـــا إخـــوانِ.. إني أكتب إليكم مكتوبي هذا بكبدٍ مرضوضةٍ، ودموع مفضوضةٍ، فاسمعوا قولي، جزاكم الله خير الجزاء.

إني امرؤٌ ربّاني الله برحمة من عنده، وأنعم علي بإنعامٍ تامٍ، وما أَلَــتَني من شيء، وجعلني من المكلَّمين الملهَمين. وعلّمني من لدنه علْمــا، وهــداني مسالك مرضاته، وسلكَ تُقاته، وكشف عليّ أسراره العُليا. فطورًا أَيّدني بالمكالمات التي لا غبار عليها ولا شبهة فيها ولا خفاء، وتارةً نَوّرني بنور الكشوف التي تشبه الضحى.

ومــن أعظــم المــنن أنه جعلني لهذا العصر ولهذا الزمان إمامًا وخليفةً، وبعثني على رأس هذه المائة مجدّدا، لأخرج الناس إلى النور مــن الدُّجى، وأنقُلهم من طرق الغَيّ والفساد إلى صراط التقوى. وأعطــاني ما يَشْــفي النفوس، وينفي اللَّبْسَ المحسوس، ويكشف عن الخَلق الغُمّى.

إنه وجد هذا العصر أسيرًا في مشكلات ومخنوقًا من معضلات، وهالكًا تحت بدعات، وسَيّئات وظلمات، فأراد أن ينجّي أهله من تلــك الآفــات وأنواع البلاء. وإنه رأى فساد قسِّيسين وفلاسفة النصارى قد بلغ من العمارات إلى الفلوات، ومن النيّات إلى عمل الســيّئات، ومن سطح الأرضين إلى الجبال الشامخات، ورأى أنهم عتَوا عتوًّا كبيرًا، وبَلّغوا أمرهم في غلوّهم إلى الانتهاء. ورأى الرب المجــيد أنه ابتُلي كثيرٌ من الخلق بدقائق فتنهم، ولطائف ذكائهم، وغــرابة دهــائهم، وسحرِ علومهم، وطلسم فنونهم، وخديعتهم العظمى. ورأى أنهم ينهبون دين الناسِ وإيمانهم، ويسحرون قلوب

الناس وأبصارهم وآذانهم، ويَفلُون المعالم والمجاهل لإضلال الورى، ويُـرُون بسـحرهم الظُلمةَ كالسنا، وخرج بتحريكاتهم قوم من الهـنود يسـمون أنفسـهم "آريا"، ويقولون لا نؤمن بكتابٍ إلا بوَيْدِنا، الذي أُنزل في ابتداء الدنيا. وما في ويدهم إلا تعليمُ عبادة الشمس والقمر والنجوم والنار والماء والهواء، وإنْ كانت نساؤهم لم يلـدن لهم أبناءً فيأمرهم وَيْدُهم أن يؤذنوا أزواجهم لارتكاب الزنا، ويَذْرَؤُوا لأنفسهم أولادًا من هذا الطريق، وداوموا لنجاتهم عـلى هـذا العملِ أبدا. ويسمى هذا العمل بلسانهم بـ"نيوك"، ويحسبونه عملا مقدّسا. فهذه شريعتهم وأحكام كتابهم، ومع ذلك يُعضِـلون قومَهـم أن يُسْلِموا، ويسبّون خير البرية شرًّا وخُبثا. ويصـرّون على السبّ والشتم والتوهين، ويؤلّفون في رد الإسلام كُتـبا، ومـا ردّهم إلا مجموعة الافتراء. وهذه المفاسد كلها قد حدثـت من قسّيسين، وزُلزلت الأرضُ زلزالا شديدا، فالله خيرٌ حافظًا وخير مَأْزِرا.

ومن الآية المباركة العظيمةِ أنه إذا وجد فساد المتنصّرين ورآهم أنهـم يصـدّون عن الدين صُدودا، ورأى أنهم يؤذون رسول الله ويحـتقرونه، ويُطرون ابن مريم إطراءً كبيرًا، فاشتد غضبه غيرةً من عـنده، وناداني وقال: (**إني جاعلك عيسى ابن مريم**)، وكان الله عـلى كل شيء مُقْتدرا. **فأنا غَيْرةُ الله** التي فارت في وقتها، لكي

يعلم الذين غَلَوا في عيسى أن عيسى ما تفرّد كتفرّد الله، وأن الله قـــادر على أن يجعل عيسى واحدًا من أُمة نبيه، وكان هذا وعدًا مفعولا.

يـــا إخـــوان.. هذا هو الأمر الذي أخفاه الله من أعين القرون الأولى، وجلى تفاصيله في وقتنا هذا، يخفي ما يشاء ويبدي، وقد خلت مثله فيما مضى.

وفي اختـــيار هذا الطور الأخفى مصلحتان عظيمتان رآهما الله لعـــباده أنسبَ وأَولى. أما الأُولى فهي أن هذا النبأ كان من أنباء غيبية، وكان زمان ظهوره بعيدًا جدا، وكان الله يعلم أنه لا يظهره إلا بعـــد انقضاء أزمنة طويلة، وعصور مديدة، وارتحال كثير من الأمـــم من هذه الدنيا، وكان يعلم أنه لا فائدة للأولين في تصريح هذا النبأ المجمل وتفاصيله العظمى، وكان يعلم أنهم يموتون كلهم قـــبل ظهور ذلك النبأ وما يجديهم تفاصيله نفعا. فأراد أن يعطيهم ثـــواب الإيمـــان بعوض ما فات منهم ويهب لهم بعد إيمانهم أجرا حسنا. فترك تفاصيل هذا النبأ في وحيه واختار إجمالا لطيفا مبهَما كالمعمَّى. وجعل هذا الإجمال متحليا بالاستعارات، ومصبوغا من المجـــازات والكنايات، وأبعدَ من الأفهام والدرايات والقياسات، ليـــبلوهم أيهـــم يتبع أمرا. فآمنوا فرضي الله عنهم وجزاهم خير

الجـــزاء، لأنهم أحسنوا الظن في الله ورسوله، وآمنوا بما لم يعرفوا حقيقته و لم يدركوا ماهيته أصلا.

وأما الثانية.. فإنه أراد – جل اسمه – ليبتلي الآخرين كما ابتلى الأولـــين، ليغفر لهم ذنوبهم ويهيّئ لهم عند إيمانهم رشدا. وكانوا يعملـــون الســـيّئات من قبل وأضاعوا فيها قرونا وحُقُبا. وغلبت علـــيهم الشهوات حتى لم يملكوا أنفسهم، وحصدوا زروعها في الأهواء، وشابهوا صعيدًا جُرُزا. فأظهر الله ذلك النبأ المجمل المستور خـــلاف زعمهم ليبتليهم به رشدا وعلما وفهما، وليعطي المؤمنين كِفْلَـــين من رحمته ويجعل لهم لرضائه سببا. وكان هذا كله ابتلاءً من عنده ليميز المؤمنين المخلصين من غيرهم، ويتوب عليهم فضلا ورحمـــا، وليُخزي عقول الذين استكبروا في أنفسهم واتخذوا عبد الله وتبلـــيغه سُخْرة وهُزُوا. وكذلك أمر الله، إذا شاء ابتلاءَ قوم مذنب.. فربما يلبس عليهم نبأً موعودًا، ويقلب عقولهم وأفهامهم، فلا يفهمون سرَّ وعد الله ولا موعدا، ليذيقهم سوء ما عملوا من قبل ويجعلهم من الذين عادَوا عبدًا صادقا، وزادوا حَيفًا وشَطَطا. فينكّر تأويل النبأ في أعينهم فيحسبونه شيئًا فَرِيًّا مختلَقا. وما يحلّقون إلى حيث يحلّق ذو النهى، ولا يرون الإشاراتِ المطويّة في ذلك النبأ الأخفى، ولا يخافون فتنة الله التي تصيب المجرمين خاصّة ويجادلون كالأعمى. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون

بـــنوع من الابتلاء؟ وقد خلت سنن الله في مثل ذلك، وفيها عبرة لكل قلب يخاف ويخشى.

فاعتـــبروا يا أولي الأبصار.. واسألوا أهل الذكر إن كان الأمر علـــيكم مشتبها. أعجِبتم أن أتتكم سنة الأولين قبلا؟ أعجبتم أن أرســـل الله إليكم حكَما كاشفا لسر هذا النبأ، فنضا الحكم عن وجه النبأ سترا؟ أهذا في أعينكم أمر منكر، ونسيتم ما قيل لكم إن المســـيح يـــأتي إلـــيكم **حَكَمًـــا عَدْلا**؟ فما لكم لا تقبلون قول حَكَمكـــم.. أتنسون ما قال النبي ﷺ وأوصى؟ وإن تحسبون أنكم على صدق وحق.. فلو لا تأتون عليه بنظير من قبل.. وقد قال الله إن لسننه نظائر في الأمم الأولى. أتعرفون بشرا رفع إلى السماء ثم نـــزل بعد قرون كما تظنون في عيسى؟ ووالله إن هذا خارج من ســـنن الله ولـــن تجـــدوا من مثله في كتب الله أثرا. وقد قرأتم في الصحاح أن المسيح لحق بميتين من إخوانه، واتخذ مقامًا عند أخيه يحيى. وقد وعد الله للذين تُوُفّوا مسلمين أنهم لا يُردّون إلى الدنيا، ويمكثون في دار السعادة أبدا. وقال النبي ﷺ إني أُخبرت أني أعيش نصف ما عاش عيسى، وفي ذلك دليل على وفاة المسيح لمن كان لـــه قلب أو يمعن النظر وهو يرى. فليحكم أهل الحديث بما جاء من النبي ﷺ في الصحاح، ولا يجادلوا بأحاديث نزوله قبل أن يثبتوا صـــعوده بجسمه إلى السماوات العلى. ولو شاء الله لفتح آذانهم،

وبصّر أعينهم، وفهّم قلوبهم، ولكن ليبلوهم فيما آتاهم، وليخزي الله مـــن أراد خزيه في الدنيا والعقبى. ولو أن أهل الحديث آمنوا واتقـــوا لكفّر الله عنهم سيئاتهم وكتبهم في الصادقين، ولكن بخلوا واستعجلوا، واختاروا لأنفسهم عوجا، واتبعوا أقدام السفهاء الذين خلوا من قبل، ونسوا كل ما ذُكّروا به، وطلبوا لِدنياهم مرفقا. فلا يضـــرون الله شـــيئا من مكائدهم، وإن كانوا ليزيلوا من كيدهم جبلا. ولا تحسَـــبُنّهم بمفازة مِن أخذ الله، ولا تحسبوا عداوة الحق أمـــرا هينا. والله يتم وعده وينصر عبده، فإن جنحوا للسلم فهو خير لهم، وإن عتَوا فسيريهم الله ذلا وخزيا.

وقـــد أتممت عليهم حجتي، وقرأت عليهم براهين صدقي، فما نظـــروا من الإنصاف نظرا. ألا يرون أن الله أخبر من وفاة المسيح في مقامات شتى؟ والقرآن كله مملوّ من ذلك، ولا تجد فيه لإثبات حياته حرفا أو لفظا. وهناك قول المسيح في القرآن: ﴿وكنت عليهم شـــهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم﴾.[1] فانظر كيف يثبت من ههنا أن المسيح توفي وخلا. ولو كان نزول المسيح ومجيئه مقدرًا ثانيا لذكر المسيح في قوله شهادتين ولقال مع قوله: كنت عليهم شهيدًا وأكون عليهم شهيدا مرة أخرى.. وما

[1] سورة المائدة: ١١٨

حصـــر في الشـــهادة الأولى. وقال الله تعالى: ﴿فيها تحيون﴾،[1] فخصص حياة الناس بالأرض كما خصص موتهم بالثرى. أتتركون كلام الله وشهادة نبيه وتتبعون أقوالا أخر؟ بئس للظالمين بدلا!

أيها الناس.. قد أعثرني الله على هذا السر وعلّمني ما لم تعلموا، وأرســـلني إلـــيكم حكما عدلا، لأكشف عليكم ما كان عليكم مســـتترا. فلا تماروا ولا تجادلوا، وتدبروا في قوله: ﴿يا عيسى إني متوفـــيك﴾، واقرؤوا هذه الآية إلى قوله: ﴿يوم القيامة﴾ ثم أَمعِنوا الـــنظر يـــا أولي النهى! وانظروا كيف افتتح الله من وفاة المسيح، وذكـــر كل واقعة بترتيب طبعي تتعلق بعيسى، حتى اختتمها على يوم القيامة، و لم يذكر من نزول المسيح في هذه السلسلة شيئًا، وما أحـــدث في هـــذا الأمر ذكرا. وما كان نزوله عند الله إلا نزول إراداتـــه وتوجهاته على المظهر الذي قام مقامه وقرب به استعدادًا ودنـــا. فلَوّنـــه بلونه، وصَبّغه بصبغه، حتى صار المظهر مستغرقًا مغمـــورًا في معنى الاتّحاد، وشابه عينَ أصلِه في القُوى، وتقاربت مداركـــه بمداركه، وأخلاقه بأخلاقه، وجوهره بجوهره، وطبيعته بطبيعـــته، حتى صارا كشيء واحدٍ، وكان اسمهما واحدًا في الملأ الأعلى.

[1] *سورة الأعراف:* ٢٦

وإن اشتقتَ أن تكتنه حقيقةَ هذا السرّ، وتطلّع على أسبابه على وجهٍ أظهرَ وأَجْلَى، فأَصْغِ أبيّن لك ما علّمني ربي في هذا الأمر من أسـرار الهـدى. وهي أن الله وجد في هذا الزمان غلبة المتنصّرين وضـلالاتهم إلى الانـتهاء، ورأى أنهم ضلّوا وأَضلّوا خَلقًا كثيرًا، ونَجّسـوا الأرضَ بشـركهم وكفـرهم، وأكثروا فيها الفسادَ، وأشـاعوا في الـناس كذبهم، وفريتهم وتلبيساتهم، وفتحوا أبواب المعاصـي والهـوى. ففارت غيرة الله تعالى عند رؤية هذه الفتنة العُظمـى. فأنبأ الرَّبّ الغيور كَلِمتَه ونبيَّه من فتن أُمّته ومما أفسدوا في الأرض ومـا يصنعون صُنْعا. وكان هذا الإخبار من سنن الله ولـن تجـد لسنن الله تَحوّلا ولا تبديلا. ولما سمع المسيح أن أُمته أهلكَتْ أهل الأرض وأرادت أن يستفزّهم جميعًا، وبَغتْ أمام ربّها بغيًا كبيرا، فكثر كربه وقلقه حسرةً على أُمّته، وأخذه حزن ووَجدٌ كمـثل الذي يهمّه إغاثة الملهوفين أو يجب عليه إعانة المظلومين، واسـتدعى مـن الله نائبا، وقضى أن يكون نائبه متحدًا بحقيقته ومتشابهًا بجوهره، ومقيمًا في مقام جوارحه لإتمام مراداته، ومظهرًا لظهور إراداته، فصرف لهذه المُنْية عِنان التوجه إلى الثرى. فاقتضى تدبير الحق أن يهب لـه نائبًا تنطبع فيه صورتُه المثاليةُ كما تنطبع في الحـياض صُور النجوم من السماوات العُلى. فأنا النائب الذي أرسـلني الله في زمـان غلبة التنصّرِ غيرةً من عنده، وإراحةً لروح

المسيحِ، ورأفةً بعامة خَلقه، وترحّمًا على حال الورى. فجئت من الله لأكسر الصليب الذي أُعلِيَ شأنُه، وأقتل الخنزير فلا يُحيا بعده أبدا. واختارني ربي لميقاته، إن ربي لا يُخلف ميعاده ولا ينقض عهدا. وقد كان وعده إرسالَ المسيح عند تطاول فتنة الصليب وغلبة الضلالات العيسائية، وإن كنتم في شك مما قلنا فتدبّروا في قول نبيه.. أعني قوله: "يكسر الصليب"، يا أرباب النُهى. وافتحوا أعينكم وانظروا نظرًا غامضًا إلى زمانكم وإلى قومٍ جاءوا بفتن عظيمة، ثم اشهدوا لله.. هل أتى وقت قدومِ كاسرِ الصليب أو ما أتى؟

والله، إني قد أُرسِلتُ من ربي، ونُفِث في روعي من روع المسيح، وجُعلتُ وعاءً لإراداته وتوجهاته، حتى امتلأت نفسي ونسمتي بها، وانخرطتُ في سلك وجوده، حتى تراءى شَبَحُ رُوحِه في نفسي، وأُشْرِبتُ في قلبي وجودَه، وبرِق منه بارقٌ فتلقّتْه روحي أتم تلقٍّ، ولصقت بوجوده أشدَّ مما يُخيل، كأني هو، وغِبت من نفسي، وظهر المسيح في مرآتي وتجلّى، حتى تخيّلتُ أن قلبي وكبدي وعروقي وأوتاري ممتلئة من وجوده، ووجودي هذا قطعة من جوهر وجوده، وكان هذا فعل ربي تبارك وتعالى. وكان هو في أوّل أمري قريبًا مني كالبحر من القاربِ، ثم دنا فتدلى، فكان مني بمنزلة الماء في القربة، وتموج في جسدي روحه، فصرتُ

كشـــيء لا يُرَى. ووجدته كقَنْد اختلط بماءٍ لا يتميز أحدهما من الآخـــر، وأدركتُ بحاسة روحيٍ أنه اتّحد بوجودي، وصرت في نفســـه ملتفّا، وصرنا كشيء واحد، يقع عليه اسم واحد، وغابت طينتي في طينته العُليا. هذا ما عُلّمناً من رَبِّنا، فاقضِ ما أنت قاض، واتق الله، ولا تُخلد إلى أهواء الدنيا.

وأمـــا الكـــلام الـــكُلّي في هذا المقام، فهو أن للأنبياء الذين ارتحلـــوا إلى حظـــيرة القُدس تدلّيات إلى الأرض في كل بُرهة من أزمـــنة يُهيج الله تقاريبها فيها، فإذا جاء وقت التدلّي صرف الله أعينهم إلى الدنيا، فيجدون فيها فسادًا وظلمًا، ويرون الأرض قد مُلئت شرًّا وزورًا، وشركا وكفرًا، فإذا ظهر لأحد منهم أن تلك الشـــرور والمفاسد من بغي أمّته، فيضطر روحه اضطرارًا شديدًا، ويدعـــو الله أن يُنـــزله على الأرض ليهيئ لهم من وعظه رشدا. فـــيخلق لـــه الله نائبا يشابهه في جوهره، وينـــزل روحه بتنـــزيل انعكاســـي على وجود ذلك النائب، ويرث النائب اسمه وعلمه، فـــيعمل على وفق إراداته عملا. فهذا هو المراد من نزول إيليا في كتـــب الأوّلـــين، ونزول عيسى عليه السلام، وظهور نبينا محمد ﷺ في المهـــدي خُلقًـــا وسيرة. وما من محدَّث إلا له نصيبٌ من تدلّيات الأنبـــياء، قليلا كان أو كثيرًا. ومن تجرَّدَ عن وسخ التعصّبات فلا يتردّد في هذا، ويجد السّنة والكتاب مبيّنَينِ لها.

أيها الأعزةُ.. إن حضرة الله تعالى حضرةٌ عجيبةٌ، وفي أفعال الله أسـرارٌ غريبةٌ، لا يبلغ فهم الإنسان إلى دقائقها أصلا. فمن تلك الأسـرار تمثُّل الملائكة والجنِّ، ومنها حقيقة نزول المسيح التي دقّ فهمُها وعسُر اكتناهُها على أكثر الناس، فلا يفهمون الحقيقة، ولا أرى في فطـرتهم إلا غضبا. والأصل الكاشف في ذلك كلام الله تعالى، فانظروا إلى القرآن الكريم كيف يبيّن معنى النـزول في آياته العظمى. وتدبروا في قولـه تعالى: ﴿وأنزلْنا الحديد﴾[1] وفي قوله عـز اسمـه: ﴿قد أنزلْنا عليكم لباسًا﴾،[2] وفي قولـه جل شأنه: ﴿وأنـزلَ لكـم من الأنعام﴾،[3] وفي قولـه جلت قدرته: ﴿وما ننـزّله إلا بقدرٍ معلوم﴾،[4] وفي أقواله الأخرى. وأنتم تعلمون أن هـذه الأشياء لا تنـزل من السماء بل تحدث وتتولّد في الأرض وفي طبقات الثرى. وإن أمعنتم النظر في كتاب الله تعالى فيكشف علـيكم أن حقـيقة نزول المسيح من هذه الأقسام الذي ذكرناه ههنا، فتدبروا في قولنا وأمعنوا نظرا. وما ينبغي أن يكون اختلاف في كلام الله تعالى، ولن تجدوا في معارفه تناقضا.

والقول الجامع المهيمن الذي يهدي إلى الحق، ويحكم بيننا وبين قومـنا آيـةٌ جليلة من سورة "الطارق" تُذكّر سِرًّا غفلوا منه أهلُ الهـوى.. أعني قوله تعالى: ﴿والسماءِ ذات الرجع والأرض ذات

[1] سورة الحديد:٢٦ [2] سورة الأعراف:٢٧ [3] سورة الزمر:٧ [4] سورة الحجر:٢٢

الصـــدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدًا وأكيد كـــيدًا﴾[1]. فاعلموا أيها الأعزّة أن هذه الآية بحر مَوّاجٌ من تلك الأسرار، ما أحاطتها فكر من الأفكار، وما مسّتها مُدرِكةُ الورى. وفَهّمني ربي أسرار هذه الآية واختصّني بها، وتفصيله أن الله تعالى أشـــار في هـــذه الآيـــة إلى أن السماء مجموعة مؤثرات والأرض مجموعـــةُ متأثرات، وينـــزل الأمرُ من السماء إلى الأرض، فتلقَّتْه الأرضُ بالقبول ولا تأبى. وفي هذا إشارةٌ إلى أن كل ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم والملائكة وأرواح المقدسين من الرسل والنبـــيين والصديقين وغيرهم من المؤمنين.. يلقي أثره على ما في الأرض بمناســـباتٍ قَضَتْ حكمةُ القُدس رعايتَها. فالسماء تتوجَه إلى الأرض بأقســـامٍ غير متناهية من النـــزول والرجع، والأرض تتقبلها بالانصداع والإيواء بأقسامٍ لا تعدّ ولا تُحصى. فمن أقسام نتائج هذا الرجع والصدع أشياء تحدث في طبقات الأرض كالفضة والذهب والحديد وجواهرات نفيسة وأشياء أخرى. ومن أقسامه الـــزروع والأشـــجار والنباتات والثمار والعيون والأنهار وكل ما تتصـــدع عنه الثرى. ومن أقسامه جمال وحميرٌ وأفراس وكل دابةٍ تدب على الأرض وكل طير يطير في الهواء. ومن أقسامه الإنسان الذي خلق في أحسنِ تقويم وفُضّل على كل من دبّ ومشى. ومن

[1] *سورة الطارق: ١٢ - ١٧*

أقسامه الوحي والنبوة والرسالة والعقل والفطانة والشرافة والنجابة والسفاهة والجهل والحمق والرذالة وترك الحياء. ومن أقسامه نزول أرواح الأنبياء والرسل نزولا انعكاسيًّا على كل من يناسب فطرتهم ويشابه جوهرهم وخلقتهم في الخلق والصدق والصفاء. ومن ههنا ظهر أن تأثيرات النجوم ثابتة متحققة منصوصةٌ، ولا يشك فيها إلا الجاهل الغبي البليد الذي لا ينظر في القرآن ويجادل كالأعمى. وهذا الرجع والصدع جارٍ في السماوات والأرض من يوم خلقهما الله وقال ﴿ائتيا طوعًا أو كرهًا قالتا أتينا طائعين﴾[1]. فمالت السماء إلى الأرض كالذكر إلى الأُنثى، ولأجل ذلك اختار الرب الكريم لفظ الرجع للسماء، ولفظ الصدع للأرض، إشارة إلى أنهما تجتمعان دائما كاجتماع الذكور والإناث، ولا تأبى إحداهما من الأخرى ولا تطغى. فتأثيرات السماء تنزل ثم تنزل، والأرض تقبلها ثم تقبل، ولا تنقطع هذه السلسلة الدوريّة طرفةَ عين، ولو لا ذلك لفسدت الأرض وما فيها.

وقال الله تعالى في أوّل هذه الآية: ﴿إنه على رجعه لقادر﴾[2]، وقال بعد ذلك: ﴿والسمآء ذات الرجع﴾، فما أدراك أنه في جمع ذكر الرجعين إلى ما أومى؟ فاعلم أنه أشار إلى أن عَود الإنسان

---

[1] *سورة فصلت: ١٢*

[2] *سورة الطارق: ٩*

بالبعـــث بعـــد المـــوت في قدرة الله تعالى، كما أنه يعيد أرواح المقدسين بإعادات انعكاسية من السماء التي هي ذات الرجع، إلى الأرض الـــتي هـــي ذات الصدع ومولد كل من يحيا. وهذه نكتة عظيمة لطيفة عُضَّ عليها بنواجذك، وخُذْها بقوة، هداك الله خير الهدى. هذا سِرّ النـــزول الذي فيه يختلفون، أمر من عنده ليقضي أمرًا قدر وقضى.

واعـــلموا أن لله تعالى عند ذكر أنباء الغيب ألسنة شتّى. فتارة ينبئ في ألفاظ مصرّحة للحقائق المقصودة، ويُري سقياها ومرتَعَها، ويـــبدي مـــا قصد وعنى. وتارة ينطق بلسان التجوز والاستعارة، لـــيُخفي الأمر ويبتلي الناس بها. وقد جرت عادته وسنته أنه يختار الإخفـــاء والكـــتم في واقعـــات قضت حكمته إخفاءها، ويخلق الأهواء، فتُحشَر الآراء إلى جهات أخرى. وإذا أراد إخفاء صورة نفـــس واقعـــة فربما يري في تلك المواضع الواقعةَ الكبيرة صغيرةً مهونـــة، والواقعة الصغيرة المسنونة كبيرة نادرة، والواقعة المبشرة مخوّفة، والواقعة المخوفة مبشرة. فهذه أربعة أقسام من الواقعات من سنن الله كما مضى.

أما الواقعة الكبيرة العظيمة التي أراد الله أن يريها صغيرة حقيرة فـــنظيرها في القرآن واقعة بدر لمن يتدبر ويرى. فإن الله قلّل أعداء

الإســـلام ببدر في منام رسوله ليذهب الروع عن قلوب المسلمين، ويقضي ما أراد من القضاء.

وأمـــا الواقعـــة التي أراد الله أن يريها كبيرة نادرة فنظيرها في القـــرآن بشارة مدد الملائكة كي تقرّ قلوب المؤمنين، ولا تأخذهم خيفة في ذلك المأوى. فإنه تعالى وعد في القرآن للمؤمنين وبشرهم بأنه يُمِدُّهم بخمسة آلاف من الملائكة، وما جعل هذا العدد الكثير إلا لهم بشرى، لأن فردا من الملائكة يقدر بإذن ربه على أن يجعل عـــالي الأرض ســـافلها، فما كان حاجة إلى خمسة آلاف بل إلى خمسة، ولكن الله شاء أن يريهم نصرة عظيمة، فاختار لفظًا يُفهَم مـــن ظاهره كثرة الممدين، وأراد ما أراد من المعنى. ثم نبه المؤمنين بعـــد فـــتح بدر أن عِـــدّة الملائكة ما كانت محمولة على ظاهر ألفاظـــهـــا، بـــل كانـــت مؤوَّلة بتأويل يعلمه الله بعلمه الأرفع والأعـــلى. وفعل كذلك.. لتطمئن قلوبهم بهذه البشرى، ويزيدهم حسن الظن والرجاء.

وأما الواقعة المبشرة التي أراد الله أن يريها مخوفة، فنظيرها في القرآن واقعـــة رؤيـــا إبراهيم بارك الله عليه وصلى. إنه تعالى لما أراد أن يـــتوب عليه ويزيده في مدارج قربه ويجعله خليله المجتبى.. أراه في الرؤيا بطريق التمثل كأنه يذبح ولده العزيز قربانًا لله الأعلى. وما كـــان تأويله إلا ذبح الكبش لا ذبح الولد، ولكن خشي إبراهيم

عليه السلام تـــرك الظاهر فقام مسارعا لطاعة الأمر، ولذبح الولد سعَى. ومـــا كانت هذه الواقعة مبنية على الظاهر الذي رأى، ولو كان كذلـــك للـــزم أن يقدر إبراهيم على ذبح ابنه كما رآه في الرؤيا ولكـــن ما قدر على ذبحه، فثبت أن هذه الواقعة كان لـــه تأويل آخـــر مـــا فهم إبراهيم عليه السلام، وكيف يفهم عبد شيئًا ما أراد الله تفهيمه، بل أراد أن يسبل عليه سترا؟ وأنت تعلم أن كذب الرؤيا ممتـــنع في وحـــي الأنبياء. فاعلم أن ذبح الابن في حلم إبراهيم ما كـــان إلا بســـبيل التجوز والاستعارة ليخوفه الله رحمة من عنده، ويـــري الخَلْقَ إخلاصه وطاعته للمولى، وليبتلي إبراهيم في صدقه ووفائـــه، وانقـــياده لربه، فما لبث إبراهيم إلا أن تَلَّ الولد العزيز للجـــبين لـــيذبحه. رب فارحَمْ علينا بنبيك وإبراهيم الذي وفّى.. الذي رأى بركاتك ولقي خيرا وفَلْجا.

ويشـــابه هذه الواقعة واقعة الدجال، فإنها جُعلت مخوِّفةً مهيبة، وشُدِّد فيها ومُلِئَ الرعب فيها، وأُعلي أمرها إلى الانتهاء، وما هي إلا سلسلة مُلتئمة من هـــممٍ دجالية، وما فيها من الألوهية رائحة، ولا مـــن صـــفات الله نصيب، إن هي إلا سلسلة الفتن والمكايد ودعـــوات الضلالة، ابتلاءً من الله الأغنى. وكيف يمكن أن يحدث شريك البارئ، ويتصرف في ملكوت السماوات والأرض، وتكون معه جنة ونار، وجميع خزائن الأرض، ويطيع أمره سحاب السماء

وماء البحر وشمس الفَلك، ويحيي ويميت؟ سبحانه لا شريك له.. تقدس وتعالى. كلا.. بل هي استعارة لطيفة مخبرة من وجود قوم يعلُون في الأرض ومن كل حدب ينسِلون. وهم قوم النصارى الذين لهم سابقة في التلبيس وعجائب الصنع، وعمروا الأرض أكثر مما عمرت من قبل، وترون في أعمالهم الخوارق كأنهم يسحرون. أخَذ الخَلْقَ حيرة من إيجاداتهم، ونوادر صناعاتهم، وأضلوا خلقا كثيرا مما يصنعون ومما يمكرون. أحاطت تلبيساتهم على الأرض، ونجّسوا وجهها، وأخلطوا الباطل بالحق، ويَدْع ون الناس إلى الشرك والإباحة والدهرية، وكذلك يفعلون. وكيف يمكن أن يحدث الدجال من قوم اليهود وقد ضربت الذلّة والمسكنة عليهم إلى يوم القيامة، فهم لا يملكون الأمر أبدا ولا يغلبون. ألا تقرؤون وعد الله.. أعني قوله: ﴿وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا﴾[1]. ألا تتفكرون؟ ألا تتدبّرون في القرآن كيف وضع كل غير الله تحت أقدامنا وبشرنا بعلو كلمة التوحيد إلى يوم القيامة، فكيف يزيغ قلوبكم وتؤمنون بما يعارض القرآن وتلحدون؟ أيجعل الله لذاته شريكا في آخر الزمان ولو إلى أيام معدودات؟ ألا ساء ما تحكمون!

[1] *سورة آل عمران:* ٥٦

وأما الواقعة المسنونة المعلومة التي أراد الله أن يُريه* غريبة نادرة فـــنظيره * في القرآن واقعة حلم فرعون، إذ قال: ﴿إني أرى سبعَ بقـــرات سمانٍ يأكلهن سبعٌ عِجافٌ وسبعَ سنبلاتٍ خضرٍ وأُخرَ يابساتٍ يا أيها الملأ أفتُوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبُرونَ﴾،[1] وكذلكَ رؤيا يوسف عليه السلام ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾.[2] فهذه الـــنظائر حاكمـــة بينـــنا وبين قومنا، وبيانٌ شافٍ فيما كانوا فيه يخـــتلفون. ويشابهها واقعة نزول المسيح.. أخفاها الله كما أخفى هـــذه الواقعات بالاستعارات، فافهموا إن كنتم تفهمون. ما كان من سنن الله أن يَكشِط أنباءه في كل وقت وزمان، بل ربما يبتلي عـــباده في بعض الأزمنة، ويكتم أنباءه ويومي إلى أسرار وهم لا يشعرون.

وأمـــا الواقعة التي هي غريبة نادرة، وأراد الله أن يريها مفهومة معلومـــة، فـــنظيرها في القرآن ما أخبر الله تعالى من آلاء الجنـــة وأنهارها، وألبانها وأشجارها وثمارها، ولحوم طير مما يعرفونه الخلق ويشـــتهون. يخفي ما يشاء ويبدي.. وفي كل فعله مصالح وحكم

---

* *كذا ورد في الأصل*

[1] *سورة يوسف: ٤٤*

[2] *سورة يوسف: ٥*

وابتلاءات، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. يعلمون ظواهر الشريعة وقشـــورها، وهم عن لبوبها غافلون. وإذا كُشف عليهم مِن سرٍّ فتزدري أعينهم ويظنون ظن السوء ويكفرون.

وقالوا كيف تواردت أمةٌ على خطأ، وكيف نظن أنهم أخطأوا كـــلهم وأنـــتم المصيبون؟ يا حسرة عليهم! لم لا يعلمون أن الله غالـــب عـــلى أمره، فإذا أراد أن يخبئ شيئا فلا يفهمه الفَهِمون. ويقـــرؤون سُنَنَه في القرآن ثم يغفلون. ألا يعلمون أن الله قد يخفي أمـــرًا على المقربين من الأنبياء فهم بإخفائه يبتلون؟ وما كان لأمة أن تسبق الأنبياء في فهمها، وما كان الله أن يترك قومًا بغير ابتلاء، ﴿أحسِب الناس أن يُترَكوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتَنون﴾[1]. إن الله يبتلي كل أمة بأنبائه الغيبية، وقد ابتلى الفاروق وأمثاله، أ أنتم مـــنهم تزيدون؟ ما لكم لا تخافون ابتلاء الله ولا تخشون؟ لعل نبأ نزول المسيح يكون فتنة لكم، ما لكم لا تتقون؟ أ أنتم أسلم فهمًا مـــن الذيـــن خلوا من قبل، أم لكم براءة من فتن الله، ما لكم لا تـــتفكرون؟ وقد مضت ابتلاءات قبل هذا، فطوبى لقوم يفتحون الأبصار ويعتبرون.

وقـــالوا كـــيف نؤمن بهذا المسيح وقد بشر لنا أنه ينـــزل عند مـــنارة دمشق، وأنه يقتل الدجال، ويحارب الأعداء فهم يهزمون.

---

[1] *سورة العنكبوت: ٣*

وكذلك ينتضون حججا مغشوشة، ولقد ضل فهمهم فهم مخطئون. ألا يعلمون أن المسيح الموعود يضع الحرب؟ ألا يقرؤون الصحيح للبخاري أو ينسون؟ ومن أين نُبُّوا أن المسيح ينزل بدمشق التي هي قاعدة الشام، وبأي دليل يوقنون؟ أ سار معهم رسول الله ﷺ إلى دمشق، وأراهم منارة وموضع نزول، أو أراهم صورتها في شِقّة من قرطاس، فهم يعرفونها ولا ينكرون؟ أو هي مصرٌ أفضلُ من الحرمين ولها فضيلة على قرى أخرى ويسكن فيها الطيبون؟

وما يغُرّنهم ما جاء في أحاديث نبينا ﷺ لفظُ دمشق، فإن له مفهوما عاما، وهو مشتمل على معان كما يعرفها العارفون. فمنها اسم البلدة، ومنها اسم سيد قوم من نسل كنعان، ومنها ناقة وجمل، ومنها رجل سريع العمل باليدين، ومنها معان أخرى. فما الحق الخاص للمعنى الذي يصرون عليه وعن غيره يعرضون؟

وكذلك لفظ المنارة التي* جاء في الحديث.. فإنه يعنى به موضع نور، وقد يطلق على علَمٍ يُهتدى به. فهذه إشارة إلى أن المسيح الآتي يُعرَف بأنوار تسبق دعواه، فهي تكون له كعلم به يهتدون.

* سهو، والصحيح: الذي.

ونظيره في القرآن قوله تعالى: ﴿وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا﴾ [1]. فكما أن السراج يعرف بإنارته كذلك المسيحُ يعرف بمنارته.

وما ثبت وجود منارةٍ في شرقي دمشق على عهد رسول الله ﷺ، وما أومأ إليه إذا لارتاب المبطلون، بل هي استعارات مسنونات يعرفها الذين أوتوا العلم، وما يجادل فيها إلا الظالمون. أفلا يدّبرون سنن الله أم جاءهم ما لم يأت من قبل فهم له منكرون؟ وأي سر كان في تخصيص بلدة دمشق ومنارتها؟ فبيّنوا لنا إن كنتم تتبعون أسرار الله ولا تلحدون. أتعجبون من هذه الاستعارة ولا تعلمون أن الاستعارات حُلل كلام الأنبياء، فهم في حلل ينطقون؟ اذكروا قول إبراهيم عليه السلام.. أعني قوله: "غَيِّرْ عَتَبَةَ بابك"، ثم انظروا إلى إسماعيل عليه السلام كيف فهم إشارة أبيه. أفهم من العتبة عتبةً أو زوجة؟ فتفكروا أيها المسلمون. وانظروا إلى الفاروق رضي الله عنه كيف فهم من كسر الباب موته، لا كسر الباب حقيقةً؟ وإن شئتم فاقرؤوا حديث حذيفة في الصحيح للبخاري لعلكم تهتدون.

وقالوا إن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت خروج الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج، وما نرى أحدا منهم خارجا، فكيف يجوز أن يستقدم المسيح وهم يستأخرون؟ أما الجواب، فاعلموا..

---

[1] *سورة الأحزاب: ٤٧*

أرشدكم الله تعالى.. إن هذان لاسمان لقوم تفرّق شعبهم في زماننا هـــذا آخـــرِ الزمان وهم في وصف متشاركون. وهم قوم الروس وقـــوم الـــبراطنة وإخوانهـــم، والدجال فيهم فَيجُ قسيسين ودعاةُ الإنجيل الذين يخلطون الباطل بالحق ويدجلون. واعتدى* لهم الهند متكأ، وحقت كلمة نبينا ﷺ أنهم يخرجون من بلاد المشرق، فهم من مشرق الهند خارجون. ولو كان الدجال غير ما قلنا، وكذلك كـــان قـــوم يـــأجوج ومأجوج غير هذا القوم، للزم الاختلاف والتناقض في كلام نبي الله ﷺ. وأيم الله إن كلام نبينا منـــزه عن ذلك، ولكنكم أنتم عن الحق مبعدون.

ألا تقـــرؤون في أصح الكتب بعد كتاب الله أن المسيح يكسر الصـــليب؟ ففـــي هذا إشارة بيّنة إلى أن المسيح يأتي في وقت قوم يعظّمـــون الصليب.. ألا تفهمون؟ وقد تبين أنهم أعداء الحق، وفي أهوائهـــم يعمهون. وقد تبين أنهم ملكوا مشارق الأرض ومغاربها ومن كل حدب ينسلون. وقد تبينت خياناتهم في الدين وفتنهم في الشـــريعة، وفي كـــل ما يصنعون. أترون لدجالكم المفروض في أذهانكم سعةَ موطئِ قدم في الأرض ما دام فيها هؤلاء؟ فالعجب مـــن عقلكم! من أين تنحتون دجالا غير علماء هذا القوم، وعلى أي أرض إيّـــاه تســـلّطون؟ ألا تعلمون أن المسيح لا يجيء إلا في

* سهو، والصحيح: أعتدتْ.

وقـــت عبدة الصليب، فأنى تؤفَكون؟ ألا ترون أن الله تعالى مكّن هذه الأقوام في أكثر الأرض وأرسل السماء عليهم مدرارًا، وآتاهم مـــن كل شيء سببا، وأعانهم في كل ما يكسبون؟ فكيف يمكن معهـــم غيرهـــم الـــذي تظنون أنه يملك الأرض كلها؟ يا عجبا لفهمكم! أ أنتم مستيقظون أم نائمون؟ أنسيتم أنكم قد أقررتم أن المسيح يأتي لكسر الصليب؟ فإذا كان الدجال محيطًا على الأرض كلها، فأنى يكون من الصليب وملوكه أثر معه.. ألا تعقلون؟ ألا تعـــلمون أن هـــذان نقيضان فكيف يجتمعان في وقت واحد أيها الغافلون؟ وإن زعمتم أن الدجال يكون قاهرا فوق أرض الله كلها غير الحرمين، فأي مكان يبقى لغلبة الصليب وأهل الصليب، أ أنتم تثبـــتونه أو تشهدون؟ ما لكم لا تفهمون التناقض؟ وأفضَى بعض أقوالكـــم إلى بعـــض يخالفها، ودجلتم في أقوال رسول ﷺ ثم أنتم عـــلى صـــدقكم تحلفون. وتُضلّون الذين ضعفوا قلبًا ولُبًّا وعقلا، وتزيّـــنون بـــاطلكم في أعينهم، وتزيدون على أقوال الله ورسوله وتنقصـــون. لن تستطيعوا أن ترفعوا هذه الاختلافات، أو توفّقوا وتطـــبّقوا ولو حرصتم، ولو كان بعضكم لبعض ظهيرا، فلا تميلوا كل الميل إلى الباطل وأنتم تعلمون. وإن تقبلوا الحق وتتقوا فإن الله يـــتوب عليكم، ويغفر لكم ما قد سلف. فليتدبر أهل الحديث في هذا. ومن لم يهتد بعد ما هدي فأولئك هم الفاسقون.

أيهـــا الـــناس.. قد جاءت علامات آخر الزمان فلِمَ في مجيء المسيح تشكّون؟ تعالوا أتل عليكم بعضها لعلكم ترشدون. فمنها أن نـــار الفـــتن والضـــلالات قد حشرت الناس من المشرق إلى المغرب، وفي ذلك ذكرى لقوم يتقون. وأتى الإبليس من بين أيدي الناس، ومن خلفهم وعن شمائلهم، وأُبسِلوا بما كسبوا، وما عصم من فتنة الله إلا من رحم، وحال بينهم وبين إيمانهم موج الضلالات فهـــم مغرقون. وكثير منهم ازدادوا كفرا وعداوة بعد ما ارتدوا واعـــتدوا فـــيما يفترون. وجاهَدوا حق جهادهم أن يطفئوا نور الإســـلام، فمـــا اسطاعوا أن يضروه، وما استطاعوا أن يظهروه، ولمسوا كتاب الله فوجدوه مُلئت حججا بينة ونورا فرجعوا وهم خائـــبون. وإنـــه لكبير في أعين الذين يجادلون ظلمًا وعُلُوًّا ولكن الظالمين لا يخافون الله ولا يتركون دنياهم ولا يتقون. وذهب الله بنور قلوبهم وبصارة أعينهم بما فسقوا.. وتركهم في ظلمات فهم لا يبصـــرون. قلوبهـــم غُلْف، وأعينهم كالمرايا التي ما بقي صفاء فـــيها، ولا يعلمون إلا الأكل والشرب، وتركوا الله الوحيد، وهم عـــلى أندادهـــم عاكفون. كثرت فتنتهم، وزادت على المسلمين محنهم، وكلَّ يوم في ترعرُعٍ شجرتُهم، وفي تموّجٍ رَيعُهم وزيادتهم، وتَـــراءَوا من كل صَقْعة وفي دنياهم يزيدون. وترى الإسلام كقُفّةٍ مـــا لهـــا مـــن ثمرة، وأقفّتْ دجاجته وما بقي من بيضة، فليبكَ

الـــباكون. ضـــاعت الأمانة وموضعها، ومُحِيَ أثر الديانة ورُفع شَـــرْجَعها، ووئد العلم وخلا العالمون، وبقي العلماء كتنانين، لا يعـــلمون الديانـــة ولا الدين، وإلى الأهواء يأفَدون. والذين سموا أنفســـهم مســـلمين أكثرهم أمام ربهم يفسقون. ويشربون الخمر ويـــزنون، ويظلمون الناس وفي الشهادات يكذبون. وارتدعوا عن الطاعـــات، ولا يـــرفعون يدا إلى الصدقات، وإلى المنكرات هم باســـطون. وهـــذه الآفات كلها نزلت عليهم بعد ما نزلت علوم المغرب في قلوبهم، وحُرّية التنصّر في بلادهم، فهم إليهم يُحْشَرون. وهـــذا هـــو النـــبأ الذي قد بيّنه رسول الله ﷺ وأنتم تقرؤونه في صـــحيح البخاري أو تسمعون. فانظروا إلى فتن العلوم المغربية.. كـــيف تحشر الأحداث إلى المغرب.. وانظروا كيف صدّق الله نبأ رسوله أيها المؤمنون.

واعـــلموا أن المراد من النار نار الفتن التي جاءت من المغرب، وأحرقت أثواب التقوى. فتارة توعدت السفهاء من لهبها، وأخرى زينت في أعينهم نورها، وراودتهم عن أنفسهم، فهم بها مفتونون. فـــلا تفهمـــوا من هذه الأنباء مدلولها الظاهر، ولا تعرضوا عما تشاهدون. واعلموا أن لكلمات رسول الله ﷺ شأنا أرفع وأعلى، ولا يفهمهـــا إلا الذي رزقه الله رزقًا حسنا من المعارف، وأعطاه قلبًا يفهم، وعينًا تبصر، وأذنا تسمع، فهو على بصيرة من ربه، ولا

يلقاها إلا الذين ما بقي لهم عين ولا أثر وهم يفنون في رسول الله ﷺ بحيث يصير وجودهم منخلعا عن أحكامه، وبأحكام وجود النبي ينصبغون. فأولئك الذين يُملأ صدورهم من علم النبي، ويؤتون حظا من أنواره، ومن عينه يشربون. ويعطى لهم نصيب من صرافة العصمة والحكمة، ويسقون من كأس مزاجها من تسنيم، ويزكّون بجلال الله وسلطانه، وبحفظهم* يحفظون. ثم يرثهم السعيد الذي يستمع كلامهم بحسن الظن والقبول، ويتبعهم ويلزمهم، ويؤثر نفسهم لكسر سورة نفسه، ويغيب فيهم بمحبته، فيخرج كالدر المكنون. والحمد لله الذي جعلني منهم، فليمتحن الممتحنون.

لقد جئتهم بالحكمة والبصيرة من ربي، ولأبيّن لهم بعض الذي كانوا فيه يختلفون. وفرّقوا الإسلام وجعلوا أهله شيعا، وبعضهم على بعض يصولون ويكفرون. فالآن نناديهم في عَراء، فهل منهم مبارزون؟ وقد دعوناهم إلى المقاومة فهم عنها معرضون. أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون. أم يحسبون أن الله لا يميز بين الخبيث والطيّب.. ما لهم كيف يتفكرون؟ وإني أفوض أمري إلى الله، وأصفح عنهم فسوف يعلمون.

---

*سهو، والصحيح: يحفظه.

ومـــن علامات آخر الزمان التي أخبر الله تعالى منها في القرآن واقعـــات نـــادرة تشاهدونها في هذا الزمان وتجدون. وقد بيّن لنا علاماته وقال: إذا الجبال سيِّرت، وإذا البحار فجِّرت، وإذا العِشار عطِّلـــت، وإذا النفوس زوِّجت، وإذا الصحف نُشرت. إذا زلزلت الأرض... الآية، وإذا الأرض مُدّت، وألقت ما فيها وتخلَّتْ، وإذا الكواكـــب انتثرت، وإذا الوحوش حُشرت. وفي كل ذلك أنباء آخر الزمان لقوم يتفكرون.

أمـــا تسيير الجبال فقد رأيتم بأعينكم أن الجبال كيف سيّرت وأزيلـــت مـــن مواضعها وخيامُها هدِّمت، وقُنونها لاقتِ الوِهاد وصفوفُها تقوضت، تمشون على مناكبها وتأفَدون.

وأمـــا تفجير البحار فقد رأيتم أن الله بعث قوما فجّروا البحار وأجرَوا الأنهار وهم على تفجيرها مداومون. وأحاطوا على دقائق علم تفجير الأنهار وأفاضوها على كل واد غير ذي زرع، ليعمروا الأرض ويدفعوا بلايا القحط من أهلها وكذلك يعملون، لينتفعوا من الأرض حق الانتفاع فهم منتفعون.

وأما تعطيل العشار فهو إشارة إلى وابور البر الذي عطّل العِشار والقِلاص فلا يُسعى عليها، والخلق على الوابور يركبون. ويحملون عليه أوزارهم وأثقالهم، وكطيِّ الأرض من مُلك إلى ملك يصلون. ذلـــك مـــن فضـــل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا

يشـــكرون. جعـــل الله على قلوبهم أكنة أن يفقهوا أسراره، وفي آذانهـــم وقـــرا فهـــم لا يسمعون. وإذا وجدوا صنعة من صنائع الـــناس.. ولو من أيدي الكفرة.. يأخذونها لينتفعوا بها، وإذا رأوا صنعة رحمة من الله فيردّون.

وأمـــا تزويج النفوس فهو على أنحاء.. منها إشارة إلى التلغراف الـــذي يُمدّ الناس في كل ساعة العسرة، ويأتي بأخبار أعزّة كانوا بأقصـــى الأرض، فينبـــئ من حالاتهم قبل أن يقوم المستفسر من مقامـــه، ويُدير بين المشرقي والمغربي سؤالا وجوابا كأنهم ملاقون. ويخـــبر المضطرين بأسرع ساعة من أحوال أشخاص هم في أمرهم مشـــفقون. فلا شك أنه يزوّج نفسَين من مكانين بعيدَين، فيكلم بعضهم بالبعض كأنه لا حجاب بينهم وكأنهم متقاربون.

ومـــنها إشـــارة إلى أمن طرق البحر والبر ورفع الحرج، فيسير الـــناس من بلاد إلى بلاد ولا يخافون. ولا شك أن في هذا الزمان زادت تعلقـــات البلاد بالبلاد، وتعارف الناس بالناس فهم في كل يـــوم يـــزوَّجون. وزوّج الله التجار بالتجار، وأهل الثغور بأهل الثغور، وأهل الحرفة بأهل الحرفة، فهم في جلب النفع ودفع الضرر متشـــاركون. وفي كـــل نعمـــة وسرور، ولباس وطعام وحبور، مـــتعاونون. ويُجلَب كل شيء من خِطّة إلى خطة، فانظر كيف زوّج الناس كأنهم في قاربٍ واحدٍ جالسون.

ومن أسباب هذا التزويج سير الناس في وابور البر والبحر، فهم في تلـــك الأســـفار يتعارفون. ومن أسبابه مكتوبات قد أُحسنت طرق إرسالها، فترى أنها ترسل إلى أقاصي الأرض وأرجائها، وإن أمعنـــت الـــنظر فتعجبك كثرة إرسالها، ولن تجد نظيرها في أول الزمان، وكذلك تعجبك كثرة المسافرين والتجارين. فتلك وسائل تـــزويج الناس وتعارفهم، ما كان منها أثر من قبل وإني أنشدتُكم الله.. أرأيتم مثلها قبل هذا أو كنتم في كتب تقرؤون؟

وأمـــا نشر الصحف فهو إشارة إلى وسائلها التي هي المطابع، كما ترى أن الله بعث قومًا أوجدوا آلات الطبع، فكأين مِن مطبع يوجـــد في الهند وغيره من البلاد. ذلك فعل الله لينصرنا في أمرنا، وليشـــيع ديننا وكتبنا، ويبلغ معارفنا إلى كل قومٍ لعلهم يستمعون إليه ولعلهم يرشدون.

وأمـــا زلـــزلة الأرض وإلقاؤها ما فيها فهي إشارة إلى انقلاب عظـــيم تـــرونه بأعينكم، وإيماء إلى ظهور علوم الأرض وبدائعها وصـــنائعها، وبدعاتهـــا وسيئاتها، ومكايدها وخدعاتها، وكل ما يصنعون.

وأما انتشار الكواكب فهو إشارة إلى فتن العلماء وذهاب المتقين منهم، كما أنكم ترون أن آثار العلم قد امتَحتْ وعفَتْ. والذين كـــانوا أوتوا العلم فبعضهم ماتوا وبعضهم عمُوا وصمّوا، ثم تاب

الله علـــيهم ثم عموا وصموا، وكثير منهم فاسقون، والله بصير بما يعملون.

وأمـــا حشر الوحوش فهو إشارة إلى كثرة الجاهلين الفاسقين، وذهـــاب الديانة والتقوى، فترون بأعينكم كيف نزَح بيرُ الصلاح وأصبح ماؤه غورا، وأكثر الخَلق يسعون إلى الشر وفي أمور الدين يُدهنون. إذا رأوا شرًّا فيأخذونه، وإذا رأوا خيرًا فهم على أعقابهم ينقلـــبون. ينظرون إلى صنائع الكفرة بنظر الحب، وعن صنع الله يعرضون.

أيها الناس.. انظروا إلى آلاء الله.. كيف جدّد زمنكم، وأبدعَ هيـــئةَ دهـــركم، وأتـــرعَ فيه عجائب ما رأتها أعين آبائكم ولا أجدادكـــم، وأنـــتم بها تُترَفون. وعلّم أهلَ أروبا صنعةَ وابور البرّ إهداءً لكم ولعشيرتكم لعلكم تشكرون. انظروا إليها كيف تجري بأمـــره في البراري والعمران، تركبونها ليلا ونهارا، وتذهبون بغير تعب إلى ما تشاءون. وكذلك فهّم أهلَ المغرب صنائع دون ذلك من آلات الحرث والحرب، والعمارات والطحن واللبوس، وأنواع أدوات جـــر الثقـــيل، وما يتعلق بتزيينات المدن والمنازل وتسهيل مهماتهـــا، فأنتم ترغبون فيها وتستعملون. وتجدون في كل شهر وســـنة مـــن إيجادات غريبة نادرة، لم تر عينكم مثلها، فمنها ما يُمِدُّكـــم في عيشتكم، وتنجيكم من شِقّ الأنفس، كصناديق طاقة

الكـــبريت التي بها توقدون، وكزيت الغاز الذي منه مصابيحكم تـــنيرون. ومـــنها صـــنائع هـــي زينة بيوتكم، فتأخذونها وأنتم مستبشرون.

فانظـــروا وتفكروا.. إن الله ربكم الرب الكريم الذي أعطاكم مـــن كـــل نوادر الأرض وأملأ بيوتكم منها، فكيف تعجبون من نزول نوادر السماء وتستبعدون؟ وتسرّون بأشياء دنياكم التي هي أيـــام معدودات، ولا تنظرون إلى زاد عقباكم ولا تبالون. وكيف تعجـــبون مـــن نزول المسيح وأيام الفضل الروحاني، وأنتم ترون عجائـــب فضـــل الله قد تجلت لإراحة أجسامكم بصور جديدة، وحلل نادرة، ما تجدون مثلها في أيّام آبائكم. أ فتؤمنون بعجائب الكفـــار وبفعل الله تكفرون؟ وتيئسون من قدرة الله، ومن قدرة الخلق لا تيئسون؟ ما لكم لا تعرفون أفعال الله النادرة ببعض أفعاله التي تعرفونها وتشاهدون؟ أ كنتم مطلعين من قبل على هذه النوادر التي ظهرت في زمانكم من وابور البر والتلغراف وصنائع أخرى. كانـــت هـــي كلها مكتوبة في القرآن ولكنكم كنتم لا تفهمون، وكذلـــك مـــا فهمتم سر نزول المسيح من غرارتكم، وقد كان مكتوبا في كتاب الله. وما كان لبشر أن يفهم شيئا قبل تفهيم الله، ولو كان النبيون.

والعجـــب كل العجب منكم أنكم لا تظهرون كراهة في قبول صناعات جديدة مفيدة لأجسامكم، ولكن إذا دعوتكم إلى صنع الله الـــذي أتقـــن كـــل شيء، ورأيتموه في أعينكم غريبا نادرا، فأظهرتم كراهة وسخطة، وأبيتم وأنتم تعلمون.

أيهـــا الناس.. ما جئت بأمر منكر، وقد شهد الله على صدقي، ورأيـــتم بعـــض آياتي، ووجدتم ذكر زمني في كتاب الله الذي به تؤمـــنون. والله نكّـــر الأمر في أعينكم ليبتلي علمكم وتقواكم، فاغـــترّت فتنـــتُه وأنتم غافلون. أيها الإخوان! خذوا كتاب الله بـــأيديكم ثم تدبروا فيه.. هل جاء وقت آخر الزمان أو في مجيئه حقب وقرون؟ إنكم تعلمون أن المسيح يأتي في آخر الزمان، وقد رأيـــتم بأعيـــنكم علاماته، وشاهدتم النوادر الأرضية التي جعلها القـــرآن الكريم من آثار الـــزمن المتأخر، وأنتم منها تنتفعون. فما لكم لا تؤمنون بالنوادر السماوية التي تدل عليها الآيـــة الكريمة.. أعني بذلك قوله تعالى: ﴿إذا السماء كُشطتْ﴾،[1] وتُخلدون إلى الأرض ومن آلاء السماء تبعدون؟

[1] *سورة التكوير: ١٢.*

وقد بشر الرب الكريم في هذا الأمر بشارة أخرى بقوله: ﴿وإنا لـــه لحـــافظون﴾[1] ولكـــن تنسون بشارات ربكم وفي آياته تُلحدون.

اعـــلموا أيها الأعزة.. أن السماء والأرض كانتا رَتْقًا ففتَقهما الله، فكُشطت السماء بأمره وصدعت، ونـــزلت نوادر وخرجت، ليبتلي الله عباده إلى أيّ جهةٍ يميلون. وتقدمت نوادر الأرض على نـــوادر السماء، فاغتر الناس بصنائعها وعجائب علومها وغرائب فـــنونها، وكـــادوا يهلكون. فنظر الرب الكريم إلى الأرض ورآها مملـــوءة من المهلكات، ومترَعة من المفسدات، ورأى الخلق مفتونا بـــنوادرها، ورأى المتنصرين أنهم ضلوا ويُضِلّون، ورأى فلاسفتهم اختلـــبوا الـــناس بعلومهم ونوادر فنونهم، فوقعت تلك العلوم في قلوب الأحداث بموقع عظيم كأنهم سُحروا فجذبوا إلى الشهوات واســـتيفاء اللـــذات، والتحقوا بالبهائم والحشرات، وعصوا ربهم وأبويهـــم وأكابـــرهم، وأُشربوا في قلوبهم الحرّية، وغلبت عليهم الخلاعـــة والمجون. فأراد الله أن يحفظ عزة كتابه ودين طلابه، من فتن تلك النوادر كما وعد في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا لـــه لحـــافظون﴾. فأنجز وعده، وأيد عبده، فضلا منه ورحمة، وأوحى إليّ أن أقوم بالإنذار، وأنزل معي نوادر النكات والعلوم والتأييدات

[1] *سورة الحجر: ١٠.*

مـــن السماء، ليكسر بها نوادرَ المتنصرين وصليبهم، ويحتقر أدبهم وأديـــبهم، ويدحـــض حجتَهم، ويفحم بعيدهم وقريبهم. فمظهر نوادرِ الأرض وفتنِها هو الذي سمي بالدجال المعهود، ومظهر نوادر الســـماء وأنوارِها هو الذي سمي بالمسيح الموعود. خصمانِ تقابلا في زمن واحد، فليستمع المستمعون.

فالآية الأولى من آيات صدقي أني أرسلت في وقت هذه الفتن التي قد أشار كتاب الله إليها. فأنزلني ربي من السماء كما أخرج الفتن من الأرض، وتكلم في استعارات وأيّدني كما أُيّد الصادقون. انظـــروا إلى الأيـــام التي كانت قبلكم من اليوم التي خلق الله فيه الإنســـان.. هل شاعت وغلبت مثل هذه الفتن العظيمة على وجه الأرض؟ أو هـــل سمع نظيرها ونظير نوادرها في شيع الأولين؟ فما لكـــم لا تتفكرون؟ أما ترون كيف تُرَدّ آيات الله بأقوال الفلاسفة وتســـتهزأ بها، وتكتب في ردها ألوف من كتب، هل سمعتم مثلها مـــن قبل أيها المؤرخون؟ هل سمعتم من قبلُ توهينَ الرسول الكريم وسَـــبَّه وطعنًا في دينه، والضحك عليه، كما أنكم في هذا الزمان تسمعون؟ أو هل سمع أحد من الأولين ازدراء كتاب الله واحتقار رسوله بألفاظ شنيعة مؤلمة كما تسمعها آذانكم؟ فلم تعجبون من رحمة الله في هذا الطوفان أيها النائمون؟ ألا ترون كيف يسخرون

مـــنكم ومـــن دينكم؟ سخِر الله منهم وأصمّهم وأعماهم فهم لا يُبصرون.

أيها الأعزة.. هل أتى زمان على أحد كما أتى عليكم؟ سمعتم مـــن أهل الكتاب أذًى كثيرا وسبقوا في الافتراء والسبّ والإيذاء، وصُبّت على الإسلام مصائب. ترتَع الحمير في مرعى الخيل، وترتَع الكلاب على الغِيل بشدة الميل، فأي زمان بعد ذلك تنتظرون؟

ومن آيات صدقي أنه تعالى وفّقني باتباع رسوله واقتداء نبيـــه ﷺ، فما رأيت أثرا من آثار النبي ﷺ إلا قفوته، ولا جبلا من جبال المشكلات إلا علوته، وألحقني ربي بالذين هم ينعمون.

ومن آيات صدقي أنه أظهرني على كثير من أمور الغيب، وهو لا يظهر على غيبه أحدا إلا الذين هم يرسلون.

ومـــن آيات صدقي أنه يجيب دعواتي، ويتولى حاجاتي، ويبارك في أفعالي وكلماتي، ويوالي من والاني، ويعادي من عاداني، وينبئني مما يكتمون. وإنه سمع كثيرا من بكائي، ورفعني إذا خررت أمامه، وأجـــاب أدعيةً لا أستطيع إحصاءها، وأحسن مثواي ومنّ علي بآلاءٍ ليست لي ألفاظ لبيـــانها، وأتمَّ عليّ رحمته في الدنيا والآخرة، وجعلـــني مـــن الذين ينصرون. وخاطبني وقال: "يا أحمدي، أنت مـــرادي ومعي. أنت مني بمنـــزلة توحيدي وتفريدي. فحان أن تُعـــان وتُعـــرف بين الناس. أنت مني بمنـــزلة لا يعلمها الخلق".

فكلّمـــني بكلمات لو كانت لي الدنيا كلها ما أسرّني كما أسرّتني هـــذه الكـــلمات المحبوبة. فروحي فداءُ سبيله، هو وليي في الدنيا والآخرة. ما أصابني ظمأ ولا نصب ولا مخمصة إلا أتاني لنصرتي، وأرى آلاءه واردةً تترا عليّ كالذين لا يستحسرون.

ومـــن آيات صدقي أنه أعطاني علم القرآن، وأخبرني من دقائق الفرقان، الذي لا يمسّه إلا المطهّرون.

ومـــن آيـــات صدقي أنه أدبني فأحسن تأديبي، وجعَل مشربي الصـــبرَ والرضاء والموافقة لربي والاتباع لرسولي. وأودع في فطرتي رموز العرفان، وجعلني عارفا لمصالح الأمور ومفاسدها، وأدخلني في الذين هم منفردون.

يا مشايخ العرب وأصفياء الحرمين.. هذه هي الأخبار والمواعظ التي عرضتها على علماء الهند، ونبّهتهم فلم ينتبهوا، ووعظت فلم يتعظوا، وأيقظت فلم يستيقظوا، ووقعوا في ظنون الجاهلية، وهمّوا بـــتكفيري وتكذيـــبـــي، وأخـــذوا بتلابيـــبي، وهم على قولهم يصرّون. وقد أتممت عليهم حجتي، وابتلج عليهم صباح صدقي، وجحدوا بدعوتي واستيقنتها أنفسهم وهم بلسانهم منكرون. وإني أرى قلوبهم وَجِلةً، وفي مهجتهم حسرة وكربة، وتراءى لهم الحق وهـــم يتجاهلون. وأرى أنهم قد تفرقوا وكانوا في أمري أزواجا شتّى، فبعضهم صدقني وهم ضعفاؤهم وأتقياؤهم، وبعضهم كذبني

وأعرض وازدراني في عينه كبرًا وقلًى، وهم الذين يستكبرون. وإني أرى المصـــدقين أنهم يزيدون، وأرى المكذبين أنهم ينقصون، ويأتي الأرض ربي ينقصـــها من أطرافها، ويفهّم القلوب، ويفتح العيون، ويـــزيل الظـــنون. والذيـــن يأتونني بتوسم الأتقياء فهم يعرفونني ويبايعون. يشحّذ بصيرة تقواهم فهم لا يتردّدون.

وقـــد أنبأني ربي أنني كسفينة نوح للخلق، فمن أتاني ودخل في البيعة فقد نجا من الضيعة، فطوبى لقوم هم ينجون. وما آمر الناس إلا بالقرآن، وإلى القرآن، وإلى طاعة الرب الذي إليه يرجعون. إن الله قد رأى في قلوب الناس، وجوارح الناس، وأعين الناس، وآذان الناس، ونيّات الناس، ذنوبًا وآثامًا وإجرامًا، ورآهم ملوَّثين بأنواع المعاصـــي والخطيات، فأقام عبدًا من عباده لدعوتهم إلى لبّ الدين وحقيقة الشريعة التي ما ذاق الناس طعمها، فهم منها مهجورون.

أيها الإخوان من العرب ومن مصر وبلاد الشام وغيرها.. إني لما رأيت أن هذه النعمة نعمة عظيمة، ومائدة نازلة من السماء، وآية كريمة من الله ذي العطاء، فلم تطب نفسي أن لا أشارككم فيها، ورأيت التبليغ حقا واجبا، ودينا لازمًا لا يسقط بدون الأداء، فها أنا قد قلت لكم ما تَبدّى لي من ربي، وأنتظر كيف تجيبون.

ووالله إني مـــأمور مـــن الله الـــذي أرسل نبينا وسيدنا محمدا المصطفى ﷺ لهداية كافة الناس. وأعلم من الله أنه لا يضيعني، وقد

خلع علي من حلل الولاية، وسقاني من كأسها، وأعطاني ما يعطى المقـــربون. وأرى بركاته نازلةً على أنفاسي، وعلى قلبي ولساني، وعلى فهمي وبياني، وعلى جدران بيتي وعتبة بابي وأُسْكُفّتِها، فهل أنـــتم تقبلون؟ وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون. وإني متوكل عـــلى ربي، وأفوض أمري إلى الله، وأدعو الله أن يصفي خَلقه من خبـــث الأهواء، ويلهمهم فعلَ الخيرات وقبولَ نداء أهل الاجتباء، وينجـــيهم في الدنـــيا والآخـــرة من سوء الخزي وجهد البلاء، ويُلحقهم بالذين هم صادقون.

وآخـــر دعوانا أن الحمد لله الذي يهب الإيمان، ويفتح الآذان، وينوّر العيون، ويزيل الظنون.